في الذكرى الثانية والاربعين لوفاته

السياب وثيقة للخلود!

لم يأت احتفاؤنا بالشاعر المجدد الكبير بدر شاكر السياب مناسبة لإطرائه، وقول المديح فيه، وانما جاء استذكاراً لرمز كبير في حياتنا الشعرية، كان وما زال يثير السؤال والجدل، بالإتجاه الايجابي، ويدفع بنا الامل نحو رؤية داره في جيكور، ان يكون متحفاً يؤمه كل من يتذوق الشعر ويسعى اليه، كما جاء في طلب اتحاد الادباء في البصرة. لقد احتفلنا به كثيراً، وهو يستحق ذلك، وكتبت عنه الاطاريح الجامعية، وهو يستحق ذلك، ونتمنى من المؤسسات الثقافية ان تسعى لتحويل داره الى متحف، وهو يستحق ذلك واكثر!

اعداد/ محمد درويش علي

اشواق طائر الليل

السياب واشكالية السيرة الذاتية روائياً

عباس لطيف

يحتل الخطاب السيري حيزاً مرموقاً في تاريخ السرديات سواء على المستوى التعبيري ام على مستوى التوثيق التاريخي والشخصي وذلك كون السيرة الذاتية تمثل نوعاً ادبياً يمتلك اشتراطاته وخصائصه الفنية والتي من ابرزها ذلك التناغم بين العام والخاص والذاتي والموضوعي ويقع البطل (السردي) في دائرة الحدث ومن ثم توصيف الحدث من المنظور الذاتي، ولم تعد السيرة مجرد رواية للاحداث وتعميم التجربة بل اصبحت بعد الكثير من التجارب والنماذج فناً ينطوي على اسلوبية بلاغية وسردية استثنائية الى جانب الجرأة التي يتسم بها الخطاب السيري، فهو خطاب للمكاشفة والبوح، ونجد مثل هذه التوصيفات في (اعترافات جان جاك روسو) و(لا مذكرات) لاندريه مالرو و(اشهد اني قد عشت) لبابلو نيرودا و(عشت لأروي) لماركيز.

وتمثل هذه النماذج مصدراً من مصادر دراسة المرحلة التاريخية التي صورها وجسدها الراوي- السيري وهي بالاضافة الى ما تقدم ترتكز على تجربة ابتكارية في الكتابة وتجويد في فن التعبير المفتوح.

والسيرة الذاتية وكتابتها انطوت على نوعين الاول حين يشرع اصحابها في الكتابة عن انفسهم بوعي عال وتحسس مرهف والثاني حين يتصدى اخرون للكتابة عن رموز واعلام ويصنعون عالماً موازياً لعالم السيرة الذاتية ويمكن تسميتها السيرة الذاتية بالنيابة ولقد تمرس في النوع الثاني ادباء عالميون معروفون اشهرهم ستيفان زفايج والروائي والمسرحي الفرنسي رومان رولان (١٨٦٦-١٩٤٤) الذي يعد من اغزر كتاب السير فلقد ترجم لبتهوفن وتولستوي وغاندي وغيرهم.

ولعل رواية (اشواق طائر ار لليل) تنضوي في تجارب النوع الثاني، أي كتابة السيرة بالنيابة كما فعل رومان رولان اذ تناول القاص والروائي مهدي عيسى الصقر سيرة السياب عبر رواية مختزلة وهي مناورة بين فن الرواية وفن كتابة السيرة، وانطلق الصقر في مقاربته السيرية من حقيقة كونه احد مجايلي رائد القصيدة العربية الحديثة والشعر الحر- مع اعتراض الكثير على المصطلح.

ان الشعر الحر ليس حراً بشكل مطلق او مجرداً من القافية والوزن والصورة والايقاع.

ويتخذ مهدي عيسى الصقر من حياة السياب مادة ثرية ومطواعة لميكانزم الاسقاط بالمعنى السايكولوجي لما تكشف عنه تلك الحياة من التأزم بين الذات المبدعة والمحيط المتكلس اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، وربما لهذا السحر الدرامي والاحتدام الذي تتضمنه حياة مأزومة كحياة السياب وجعلها تمثل هاجساً من اغراء الكتابة عنها، ومن يقرأ الرواية بتمعن يجد تعبيراً صادقاً وكأن الكاتب يعبر عن تجاربه الخاصة بدقة التصوير والعمق السايكولوجي لا سيما في هذا المقطع الذي يعد تلخيصاً تراجيدياً لحياة السياب وغيره من المبدعين الذين حاصرهم الاغتراب والمكابدة والألم وقد استعار الروائي اسم (يوسف هلال) كبديل اجرائي:

(ايه يا يوسف بن هلال: كان قدرك ان تعيش تلك التجربة الصاعقة وانت يافع، تلك التجربة الفريدة التي فعلت فيك ما يفعله ميسم ملتهب يحرق الجلد واللحم والعظام، ما يفعله اعصار اهوج يزعزع كيانك ويرمي بك خارج مدار الطفولة خارج البراءة والنقاء والعبث اليومي.. الى قلب عالم شرس وممزق تسكنه الفوضى وتملأه العذابات والخيبات المرة والاشواق الموجعة والحرمان الاليم واللهاث الدائم وراء السراب- السراب ووراء الامن والاستقرار وطيف المراة العاشقة المعشوقة التي لا تعرف الكذب ولا تعرف الخيانة)) الرواية ص٦٨.

ويحاول الكاتب ان يتتبع سيرة السياب منذ ولادته في احدى قرى ابي الخصيب وتحديداً من جيكور حتى رحيله على سرير في احد مستشفيات الغربة التي نخرت عظامه كما نخرت كيانه الاوجاع والمرض الذي لازمه كظله.

السرد في اشواق طائر الليل اعتمد اسلوب الريبورتاج الصحفي احياناً، وفي احايين اخرى يلجأ الى اسلوب المونتاج السينمائي حين يستهل الرواية عبر مغايرة السرد والانطلاق من نقطة النهاية- المستشفى وينحدر باتجاه الازمنة والامكنة والحوادث وفق رؤية اختزالية وانتقائية عززتها تلك العناوين التي استهل به كل فصل ليسرد لنا تجربة او جانباً من جوانب حياته المليئة بالحوادث والمعاناة بكل اشكالها.

ونجد ان لكل فصل خاصية يمتاز بها عن غيره، ففي فصل (مراهق من الريف) يسرد لنا عنفوان التوجس او التماس الجنسي البكر مع اول امرأة وما يصاحبها من جنون الرغبة الجامحة.

وفي فصل (المهرب) يسرد لنا قصة السياب مع المهرب (عمار الخليفة) وكيف اضطرته الاقدار الى ان يتعامل معه لمغادرة الوطن او بالاحرى للهروب من الوطن باتجاه المنفى بعد ان تراكمت المآسي عليه وحاصرته اساليب القمع السياسي والاجتماعي. وتابع الكاتب اسلوب العنونة وحرص على شعرية العنوان مثل (الاسم الآخر للوهم) و (سراب امرأة.. سراب الوطن) و(طائر الليل الضائع) و(امرأة اخرى.. بلد اخر) و(وهج الاحلام) وغيرها.

ووفق قراءة تحليلية للرواية والتركيز على هذه الفصول المختزلة والومضات السريعة نجد ان الكاتب قد استهوته جوانب وزوايا في حياة السياب بينما اسدل الستار على جوانب وزوايا اخرى كان الاجدر تناولها والتعمق فيها لأنها لا تقل شأناً عن غيرها مما ركز عليه الكاتب.

وانتهى الى سيرة رومانسية وايروسية اكثر من كونها حياة لذات مفكرة ومبدعة وقد سبقت عصرها بكثير من التجليات او التحسسات غير العادية فلقد ركز الكاتب على شعرية التناول والتحليق بالذاتوية ولم يتناول الصراعات واشكال القمع والتصادم التي عاناها الشاعر واشكالياته السياسية والادبية والاجتماعية.

فالسياب لم يكن مهووساً بالمرأة الى الحد المبالغ فيه كما ظهر بين ثنايا الرواية، ولذا نجد اكثر الفصول تتحدث عن ازمة مستفحلة ومركبة مع المرأة ممزوجة بميل ايروسي، في حين كان السياب متسامياً بشعره للتخلص من احباطاته على مستوى العاطفة. ووفق التحليل الحديث للسلوك يمكن القول ان الخوض في التجارب العاطفية والاستغراق في التذلل طريقة للتعمق بسايكولوجية المراة التي كانت فعلاً تحتل حيزاً من فكره ووجدانه، ولكن ليس بالصورة التي قدمتها الرواية فلقد بدا ذليلاً وعادياً جداً حين يتوسل بالممرضة في الفصل الاول ويبكي من اجل ان تبقى معه، لا نعتقد بأن السياب في ذروة نضجه ووسط ألمه المبرح يتحول الى مراهق مفتعل وقد نعترض على عنوان (مراهق من الريف) لأنه عنوان ينطوي على توصيف مباشر وساذج لا يتناغم مع عقلية وتوجهات السياب.

البساطة التي حاولها مهدي عيسى الصقر قادته الى تبسيطية فبدت الرواية غير متماسكة على مستوى البناء الفني والتتابع الزمني ولم يستثمر طريقة المونتاج السينمائي بل كانت اسلوباً مقحماً اراد من خلاله ان يلتقط ما يحلو له من صور وتداعيات سريعة لكنها غير عميقة او مؤثرة.

وبدت الرواية تنسج فصولها غير المترابطة وفق ترسيمة تقليدية تذكرنا بالروايات الرومانسية الريفية التي دأب على كتابتها الروائي المصري محمد عبد الحليم عبد الله الذي ذهبت اعماله مع الريح لانها كانت تتمركز على حكايات العشق والغرام بثوبها الريفي الساذج وهي تنفيس عن رؤى الصبابة الاولى وعقدها بعيداً عن المعنى الانساني الثر والعمق الروحي البهي الممزوج بالفكرة والموقف.

كذلك لم يتعمق الكاتب في ثوابت معروفة في حياة السياب.. جيكور.. واقبال.. ووفيقة.. ومعاناته الفكرية.. ووجوديته المأساوية.. وتناقضات الواقع السياسي والاجتماعي العراقي، ولذا لم نستشعر اية خلفية تاريخية مع ان الكتابة السيرية تمزج بين الخاص والعام والذاتي والموضوعي.

ويمكن القول ان رواية اشواق طائر الليل اعتادت الاتحادات الادبية والمؤسسات الثقافية والاكاديمية الاحتفاء برموزها سنوياً لتوكيد القيمة الابداعية لهذه الرموز وعلى كافة المستويات..

ولعل الاحتفاء سنوياً بالشاعر الكبير بدر شاكر السياب هو من اكثر الاحتفاءات اشكالية وحراجة.. ففي ذكرى وفاته في العام ٢٠٠٣ وضع اتحاد ادباء البصرة اول اكليل ورد على قبره، كما انشد شعراء البصرة قصائدهم عند شاهدته.

(طوطم) السياب!

كاظم الحجاج

الامم الحية والمتجددة، من حولنا، هي التي علمتنا.. متاخرين، كيف نحتفل ونحتفي بعظمائنا الاحياء والاموات على السواء وكيف نقيم لهم التماثيل في الميادين وكيف نحول بيوتهم الى متاحف تزار بخشوع، بل حتى مقاهيهم وحاناتهم التي كانوا يترددون عليها، وبموازاة ذلك، كيف نحول نتاجهم الادبي او الفني، الى تراث حقيقي - ان كان يستحق- تعتز به الامة كلها، وتفاخر به الامم.

لكن، ولاننا امة (اصولية) تضع اجدادها فوق الابناء والاطفال بدرجات، فان احتفالنا واحتفاءنا بعظمائنا قد اتخذ له منحى آخر مختلفاً، فنحن نضع الاموات فوق الاحياء دائماً- ربما لأننا قد استرحنا من مشاكلهم! منطلقين من مقولتنا الشهيرة التي تدعونا الى تذكر محاسن موتانا!

ومن هنا نرى ان احتفاءنا بالسياب -لوحده- طوال هذه السنين، قد اضحى امراً ملفتاً يحتاج منا الى التأمل الآن خصوصاً ونحن جميعاً أدرى بان الاحتفال الاول بهذا الشاعر الرائد من قبل السلطة الثقافية السابقة، لم يكن لوجه الله ولم يكن لوجه الشعر بل لأن شاعرنا الكبير هذا (قد استعاد وجهه العربي الاصيل!) بعد انقلابه الدرامي على انتمائه الحزبي او الطبقي السابق وكان ذلك الانقلاب مثيراً للضجيج في تلك الفترة من تاريخ العراق (السياسي) وليس الادبي بوجه من الوجوه، لأن شعره (الجديد) قد ووجه بالعداء من الاشخاص انفسهم الذين احتفوا بانقلابه!

وثانياً، هل نحن نحتفي حقاً بريادة السياب الشعرية والفنية؟ فاذا كنا كذلك فلماذا لا نحتفي بالريادة كلها، كونها منهجاً تجديدياً دائماً، يقودنا في كل الازمان الى اعادة النظر في موروثنا الادبي والفني ناقدين، بل في كل مجالات حياتنا، من اجل التجاوز والتبديل نحو الافضل والاجمل؟

ثم ان الريادة الشعرية كانت جماعية، ولم يكن احد على رأسها، بل كان السياب -لقصر عمره- قد تركها مشروعاً أولياً، لكي يحملها بعد موته (نازك الملائكة، والبياتي، وبلند الحيدري والبريكان وسعدي يوسف ورشيد ياسين..) -عراقياً- وعدد آخر من شعراء الحداثة العرب وهو مشروع لم يكتمل لحد اليوم، فلماذا لا نحتفي بهؤلاء كلهم وفي مهرجان واحد للاحتفال بالريادة كلها؟ ولماذا لا تقام التماثيل للاموات من هؤلاء؟

واخيراً فنحن نرى اننا في حاجة الى ان نضع شعر السياب كله في وعاء نقدي محايد وشامل لكي ننتهي من الامر كله، ولكي يبقى شعر السياب وشعر سواه هو الحاضر بيننا، وليس (طوطم) السياب حتى لا تصيبنا سخرية شاعرنا البدوي القديم:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عَمرو بن كلثوم

السياب يموت اكثر من مرة..!؟

حاتم العقيلي

وفي العام ٢٠٠٤ اصدر اتحاد ادباء البصرة بياناً خاصاً طالب به الجهات المعنية الاهتمام ببيت السياب وتحويله الى متحف، حيث تحول هذا البيت الى مأوى تنام فيه الكلاب ليلاً ونهاراً.

ان الاحتفال بالسياب وغيره من الرموز احتفالاً مجانياً، كما تفعل احدى المؤسسات الاكاديمية الان في البصرة، يؤكد السياقات التقليدية التي كانت تعمل عليه المؤسسات الثقافية السابقة، كما يؤكد في المقابل عدم احترامنا رموزنا الابداعية وانسياقنا غير المبدئي وراء أوهام وتصورات غير انسانية..

ان اتحاد ادباء البصرة يجدد دعوته بضرورة الاهتمام ببيت السياب في جيكور وتحويله الى متحف خاصة انه يقع في اجمل منطقة سياحية في البصرة.

ففي الاهتمام بهذا البيت وانعاشه سياحياً، سننعش روح السياب وسيظل نائماً بهدوء وسكينة.

وصية السياب الاخيرة

د.حسين علي هارف

ربما لأن ديوانه كان في متناول يدي وبقربي دائماً حتى حين اوي الى سريري بعد ان أأخذ جرعة شعرية منومة -واحياناً ميقظة- من سحره الشعري، فان السياب كان حاضراً دائماً معي وفي وعيي حين يحضر او حتى حين يغيب (الوعي).

كان السياب بكل ألقه التراجيدي -سيرة وشعراً- خير سمير لي في المساءات الطويلة.. الثقيلة.. الموحشة والكئيبة.. لا سيما تلك المساءات الحزينة الممطرة التي كنت اسمع فيها صوت بكاء السماء (علينا) من خلال نحيب المطر والمزاريب التي كانت تنشج متضامنة معي كما تضامنت مع رفيقها شاعر المطر:

أتعلمين أي حزن يبعث المطر!
وكيف تنشج المزاريب اذا انهمر

وقد تنبهت اخيراً الى السبب الذي كان يدعوه الى زيارتي ومحاورتي كلما كنت مستلقياً على سريري، فطالما كان السياب مستلقياً على فراش المرض والموت فصار الاستلقاء رفيقه الدائم بعد ان زامله طويلاً حتى ادمنه وصادر مصدر الهامه ووحيه.

وفي ليلة ماطرة امتزج فيها صوت المطر بأزيز الطائرات واصوات واضواء الانفجارات والطلقات النارية التي كانت تحاول ان تضيء بعضاً من ظلام بغداد الدامس، فاجأني المطر بحضوره حالما فرغت من قراءة مقطع من قصيدته (غريب على الخليج) فبادرني بحزم واهن.

- لم تضحك؟
- كنت اقرأ شعرك المؤثر حد البكاء!
- ابتسم وتمتم بعذوبة وبصوته الواهن بعد ان استلقى الى جانبي:
- الشمس اجمل في بلادي من سواها.. والظلام
- حتى الظلام هناك اجمل فهو يحتضن العراق

لا ادري ما الذي اصابني حينها ففعلت ما فعلت!.. نهضت من سريري ورميت بديوان السياب الذي كان في يدي عليه وانهلت عليه شعراً:

عذراً سيدي السياب
فالموت اسهل في بلادي من سواه.. والقتال
حتى القتال هناك اسهل
فهو يلتهم العراق
والدم سيدي السياب!
الدم ابخس في بلادي من سواه
فهو يسفك في العراق
والسيف يا سياب
السيف ارخص في بلادي من سواه
فهو يحتصد العراق
والوحش يا سياب!
الوحش اقوى في بلادي من سواه والذئاب
حتى الذئاب هناك اشرس فهي تفترس العراق
والضرب يا سياب!
فالضرب اعنف في بلادي من سواه
والعذاب.. حتى العذاب هناك اقسى
فهو يمتهن العراق
والهدم يا سياب
الهدم اسرع في بلادي من سواه والخراب
حتى الخراب هناك اشمل
فهو يقتلع العراق
والدمع يا سياب!
الدمع اهون في بلادي من سواه
فهو يذرف في العراق
والحزن امضى في بلادي من سواه
فهو يلتحف العراق
عفوا سيدي السياب
فالليل اطول في بلادي من سواه والظلام
حتى الظلام هناك اعتم
فهو يكتسح العراق

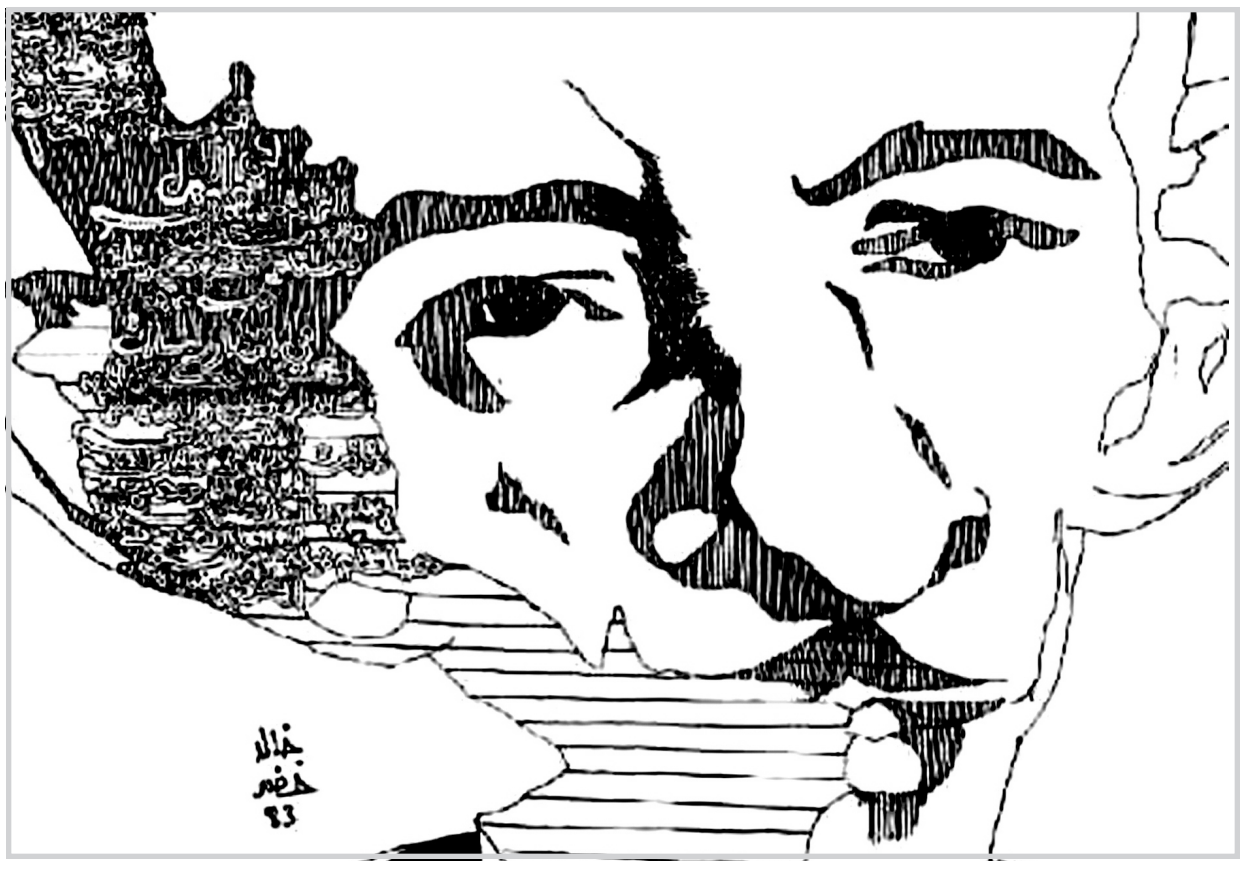

عذراً -الف عذر- سيدي السياب
اما زلت تعشق الشمس في بلادي
وتغازل الظلام؟!
بعد ان هدأت سورة غضبي المتناهي الذي ملأ الغرفة والمكان صراخاً وانفعالاً.. التفت الي السياب مجدداً فوجدته وقد شاب شعره فجأة كما لم يكن وهو يبكي ويئن بصوت واهن ثم تمتم:

-لم تقرأوا وصيتي!

غادرني شاعر المطر بعد ان رمى -بهدوء- بالديوان على السرير وتوارى. نظرت الى الديوان الذي سقط مفتوحاً على مصراعيه.. التقطته وسرعان ما وقعت عيناي على منتصف الصفحة:-

يا اخوتي المتناثرين من الجنوب الى الشمال
بين المعابر والسهول وبين عالية الجبال
ابناء شعبي في قراه وفي مدائنه الحبيبة
لا تكفروا نعم العراق
خير البلاد سكنتموها بين خضراء وماء
الشمس نور الله تغمرها بصيف وشتاء
ولا تبتغوا عنها سواها
هي جنة فحذار من افعى تدب على ثراها
انا ميت لا يكذب الموتى
واكفر بالمعاني ان كان غير القلب منبعها
يا الق النهار
إغمر بعسجدك العراق، فأن من طيف العراق
جسدي ومن ماء العراق
ها انا اصل الى ما ارمي اليه من كل هذا..
واذكر بوصية السياب الذي كان يقطر شعراً مثلما يقطر حباً بالعراق- ليس سوى عراق- ذلك الوطن الذي تكون الشمس فيه اجمل من سواها.. والسلام.